فخبار عالت

من ندوة العمارة في مؤسسة شومان

في اوراق عمل ندوة العمارة المعاصرة في الشرق الاوسط

الانقطاع المعماري يحقق هيمنة الطرز الغربية والتواصل يحاصرها

□ محمد الظاهر

خلال ندوة العمارة المعاصرة في الشرق الاوسط التي اقيمت في دارة الفنون بمؤسسة عبدالحميد شومان خلال يومي السبت والاحد الماضيين، تم تقديم عشر اوراق عمل، من البحرين ومصر، والعراق، ولبنان، وسوريا، والكويت، وقطر، وفلسطين، والامارات العربية المتحدة، والمهجر، حاولت تقديم رؤية بانورامية شمولية لانماط المعمار التي سادت هذه المنطقة من العالم، خلال القرون الماضية، وتداخل الانماط المعمارية المعاصرة مع الانماط التراثية، وانسجام هذه الانماط او تنافرها، وكيفية الحفاظ على جماليات المعمار في المدن العربية العريقة.

«الدستور» رصدت هذه الاوراق، لتقدم للقراء صورة الوضع المعماري في منطقة الشرق الاوسط العربية.

اشكالية العمارة الحديثة في البحرين

هذه الورقة قدمها الباحث المعماري طارق والي واستعرض فيها حضارة البحرين العريقة التي تمتد من حضارة دلمون القديمة، التي تعتبر من اقدم حضارات المنطقة حتى الوقت الحاضر، وقد اوضح الباحث في ورقته ان المنطقة قد تعرضت لفترات من المد والجزر، ساهمت في تغييب الكثير من القيم الجمالية المعمارية للبحرين، وان النهضة التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر، والتي اعتمدت على الغوص والتجارة، اتجهت الى البحر، وحاولت ان تخلق نوعا من التواصل مع الطرز المعمارية القديمة، فقد كانت التجارة البحرية، والصيد والغوص امتدادا لتراث هذه المنطقة، ولكن هذه الفترة كانت قصيرة العمر، ولم تستطع ان تحقق ملامح حضارة معمارية مميزة، فمع بداية العشرينات من هذا القرن، تحولت البحرين من البحر الى الارض، من التجارة والغوص الى البترول والصناعة فزاد النمط الاستهلاكي وزادت هيمنة المؤسسات الرسمية على حساب المؤسسات الشعبية التقليدية التي كانت سائدة قبل هذه النقلة النوعية.

وقد حدد الباحث مراحل التطور الاقتصادي في البحرين في ثلاث مراحل هي:

– مرحلة الاعتماد على البحر.
– مرحلة الثروة النفطية المبكرة.
– مرحلة السبعينات، وهي المرحلة التي حاولت فيها البحرين ان تكون مركزا ماليا للمنطقة بديلا لبيروت التي فقدت مكانتها المالية خلال الحرب الاهلية، هذه المرحلة التي امتدت الى التسعينات، وكان لها اثرها السلبي على المعمار المعاصر في البحرين، فخلقت اشكالية الازدواجية بين التمسك بالموروث والتوجه للجديد، وبين الغوص في اعماق الذات والتوجه الى الغرب، هذه الاشكالية التي لم يستطع المعماري البحريني الخروج من مأزقها.

وقد حدد المحاضر سلبيات المعمار المعاصر في:

١– تحول العمل الابداعي الى سلعة اقتصادية ، وتحول المعمار من الجمال الى الاستثمار.

٢– غياب الوعي الرسمي والشعبي مما ادى الى فقدان الاصالة الحضارية المعمارية، وفقدان التوازن النفسي للمجتمع.

٣– ازمة الفكر المعماري وانعدام الثقافة الوطنية المحلية.

٤– التبعية الكاملة سواء في النمط المعماري او تقنيات البناء.

هذه السلبيات ادت الى خلق نماذج مشوهة لا دخل لها بكل الظروف والشروط المعمارية البحرينية.

العمارة المعاصرة في مصر

في هذه الورقة تحدث الباحث عبدالباقي محمد ابراهيم عن الحضارة العمرانية المصرية التي ساهمت في خلقها العديد من الحضارات الوافدة، اضافة الى حضارتها الفرعونية العريقة، حيث اشار الى انها كانت ملتقى حضارات الاغريق والرومان والاسلام، والحضارات الاخرى كالفاطمية والتركية والنماذج البريطانية والفرنسية التي حملها الغزاة للارض المصرية.

واشار المحاضر في محاضرته الى الكثافة السكانية في وادي النيل، الذي يغص بانماط الحضارة المعمارية، وتحدث عن الاجيال المعمارية المعاصرة التي حاولت ان تكون منسجمة مع المعمار المحلي، ولكنها احبطت نتيجة لضغط النمط الاستهلاكي الجماهيري الذي يتابع ما تنقله له المجلات الاجنبية، فاصبحت العمارات التي لا تنسجم اطلاقا مع المعمار المصري هي المهيمنة، اضافة الى ظاهرة معمارية خطيرة، وهي تسرب انماط معمارية غريبة جدا الى الساحة المعمارية المصرية، مع بداية تسرب القروض والمعونات الاجنبية الى مصر، حيث بدأت تظهر العمارات ذات النمط الياباني والصيني، التي قامت ببنائها الشركات والمؤسسات الاجنبية الدائنة.

وقد تحدث المحاضر عن حسن فتحي كظاهرة فنية معمارية كبيرة في مصر، واكد ان هذه الظاهرة لم تأخذ حقها من الاهتمام الرسمي والجماهيري على حد سواء، فالمؤسسات الرسمية لم تأخذه مأخذ الجد، والمؤسسات الجماهيرية والشعبية لم تحاول ان تقترب من مشروعه رغم ان مشروعه كان في الاساس مكرسا للطبقة الفقيرة، والسبب في ذلك ان هذا المشروع لم يستطع ان يجذب المستثمرين ، لانه لا يستطيع تحقيق احلام المستثمرين او طموحات المستهلكين.

ومن خلال السلايدات التي عرضها، قدم صورة ناطقة لحصار الانماط المعمارية المشوهة لكثير من المعالم المعمارية الاصيلة التي ما تزال قائمة بين غابات الاسمنت التي تفتقر الى جماليات المعمار وشروطه الموضوعية التي تفرضها ساحة معمارية عريقة كالساحة المصرية.

المعمار المعاصر في العراق

هذه الورقة الفريدة من نوعها، التي قدمها الباحث المعماري معاذ الالوسي ، فتحت العيون على قضية في غاية الخطورة، وهي ان التواصل الحضاري للمعمار يمكنه من استيعاب كافة الظواهر المعمارية الوافدة، ورغم ان المحاضر قدم لمحاضرته بقول لمعماري اجنبي قال فيه ان بامكان العراق الذي يحظى بثروة نفطية ان يعيد بناء عاصمته المدورة، ولكنه لا يستطيع تحقيق ذلك في زمن ناطحات السحاب.

بالرغم من هذا التقديم ، الا ان البنية الاساسية للورقة تكشف عن هذا البلد الذي لا يستطيع اعادة المجد المعماري لعاصمته المدورة، استطاع ان يستوعب كل الطرز المعمارية ويهضمها، ويصبغها بصبغته، وقد اشار المحاضر بوضوح الى هذه القضية حين اكد على ان المعمار العراقي استطاع ان يستوعب الانماط المعمارية للحضارات المحيطة به مثل الحضارة الفارسية والحضارة التركية، واستطاع ايضا ان يكون له تأثير على تلك الحضارات.

واستعرض الآلوسي تطور المعمار العراقي منذ سومر واكد وبابل واشور حتى اللحظة الراهنة، واستطاع من خلال السلايدات ان يثبت لنا ان كل المعماريين الاجانب الذين جاؤوا الى العراق، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن، وقعوا تحت هيمنة طراز العمارة العراقي، فقد استطاع هذا المعمار ان يؤطر رؤاهم المعمارية ويجعلهم اسرى طرزه المعمارية والمواد الداخلة في البناء.

وبالرغم من كل الشواهد التي اوردها للعمارة المعاصرة التي استجابت لمتطلبات العمارة العراقية الموروثة ولظروف العمارة ، الا ان الباحث كشف عن تخوفه عن وجود بعض بذور التدهور في النمط العمراني، خاصة من خلال الابنية المقامة قريبا من النهر. او الابنية التي لم تعد قادرة على الاستجابة للظروف المناخية العراقية.